اصالة الامة قوة نضالية متجددة

أيتها الرفيقات، أيها الرفاق [1]

اشعر بالسعادة واشعر بالمسؤولية عندما اتحدث اليكم في هذه الظروف القومية الخطيرة التي نعيش فيها، اشعر بالسعادة لانني اعرف بان حزبنا ومناضليه في ارجاء الوطن العربي، وفي هذا القطر المناضل بصورة خاصة، كان دوما الملبي المستجيب للنداء وللكلمة الطيبة، لكلمة الثورة، هذا الحزب في هذا القطر المناضل برهن دوما بانه مؤهل اكثر من سواه لان يفهم فكرة البعث، وان يتجاوب معها تجاوبا حيا عميقا بكل كيانه، وليس مجرد تجاوب لفظي او ذهني وانما بكل ما تعنيه كلمة البعث بكل ما تتضمنه من ايمان ومن وعي ومن ارادة للعمل والتحقيق ومن شعور بالمسؤولية التاريخية. هذا ما ميز حزبنا في العراق وهذا ما يرتب عليه وعلى مناضليه مسؤولية كبرى هي لذة وشرف بان يكون البعثيون في هذا القطر هم الامل المرتجى لأمتهم العربية في الظروف المصيرية.

أيها الرفاق

الحاضر لاينفصل عن الماضي كما انه لاينفصل عن المستقبل، انطلقت حركتكم كما تعرفون من نظرة ايجابية مليئة بالايمان والتفاؤل مليئة بالجد وروح النضال، من نظرة الى الحياة والى الانسان والى الامة العربية والانسان العربي. هذه

---

(١) محاضرة في مدرسة الاعداد الحزبي، بتاريخ ١٩/١/ ١٩٧٦

النظرة لم تفارقنا ابدا مهما تقس الظروف، لا بل هي سر صمود هذه الحركة الثورية، هي سر تغلبها على العديد من العقبات والمؤامرات والتشويهات والنكسات ذلك لاننا منذ البدء آمنا باننا أبناء امة أصيلة: طرأت عليها ظروف قاسية عبر اجيال واجيال ولكنها رغم ذلك صمدت واحتفظت بجوهرها وانها مهيأة لان تعيد النظر وتستجمع قواها وارادتها وصحوها الفكري ونزاهتها العقلانية وموضوعيتها وايمانها بالحياة لكي تعيد الامور الى نصابها ولكي تزيل التشويه والتزييف وترفع الظلم والعراقيل المصطنعة التي وضعت وكدست من قبل الاعداء في طريق نهضتها.

امتنا هي الباقية، وليست الاجيال التي تمثل البعث الا تعبيرا عن اصالة هذه الامة والا نتاجا لخصبها وحيويتها وارادة الصمود والتقدم فيها واننا مطالبون بان نمثل ذروة النضال وذروة الثورية ولكن مع الشعور والاعتراف باننا لانمنح امتنا قوة او فضلا وانما نحن نستمد منها ونغرف من نبعها ونترجم ارادتها وحيويتها وانها هي التي تمنحنا هذه الميزة لان نكون جيل البعث، جيل المناضلين الذين يغيرون مجرى التاريخ.

أيها الرفاق

اريد ان تجمعوا الى جانب يقظتكم الثورية وشعوركم بالمسؤولية وادائكم للواجبات النضالية على اكمل وجه، ان تجمعوا الى ذلك هذا الشعور، هذا الايمان بالنصر الاكيد لنضالنا، بالنصر الاكيد لامتنا، بانها هي الاصل وما يعترضها من عقبات ليس الا اشياء عارضة مهما تكن مؤذية، وان هذه العقبات مهما تكاثرت فسوف تزول لانها بفعل اصالة الامة واستعدادها للانبعاث تعطي عكس المفعول الذي يريده الاعداء عندما يضعونها في طريقنا، لان كل عقبة توضع انما تربي فينا فضيلة جديدة، انما تستخرج من شعبنا ومن مناضلينا قوة كامنة جديدة، انما تصقل وتهذب موهبة وملكة وقدرة نضالية مبدعة، وعند ذلك تكون النتيجة الاندحار والفشل لمؤامرات الاعداء، ولكل ما زوروه وزيفوه على الحقيقة لكي يظهر وجه الامة الناصع وتظهر حقيقتها التاريخية الخلاقة، فكم رأينا ايها الرفاق من تجن وافتراء ومغالطة من قبل الغرب المستعمِر، ومن قبل الصهيونية التي هي ليست الا نتاج هذا الغرب وحضارته المريضة، كم رأينا من تضليل وتزوير بحق الامة العربية، وبحق التاريخ

العربي، والتراث العربي، وحقوق الشعب العربي في هذا العصر، وكم رأينا ايضا كيف تنفضح هذه الاباطيل وكيف تتهاوى وتتمزق امام نور النضال العربي، وكيف ان الغرب الاستعماري اضطر، رغم كل شيء، ان يتراجع عن ادعاءاته دون ان يتراجع عن مقاصده واطماعه الجشعة في استغلال ثرواتنا، وفي تعطيل نهضتنا ولكنه اضطر مرغما ان يتراجع عن الكثير مما كان يدعّيه ومما كان يقدمه كمسلّمات حضارية، قبل سنوات معدودة. كيف صار الغرب ومفكروه وقادته ينظرون الى الامة العربية، ليس في حاضرها فحسب، وانما في ماضيها كذلك، فقد حصلت تبدلات اساسية في اذهان الذين كانوا يتجنون علينا. لم يحصل هذا مجانا ولا كرما منهم وانما اضطراراً وعلى كره منهم، عندما برهنت الامة العربية على صمودها وعلى تمسكها بحقوقها وعلى رفضها لليأس وللهزيمة.

أيها الرفاق

قلت: الحاضر لاينفصل عن الماضي، في هذا الحاضر الذي تظهر فيه مظاهر كثيرة مؤسفة وموجعة للتردي والانقسام والتخاذل في بعض الطبقات الحاكمة، وبعض الانظمة، وبعض الاقطار، لابد أن نستلهم الماضي لكي نتزود بالايمان الكافي من اجل ان نقتحم هذه المظاهر دون يأس ودون فزع، ولكي ندرك بانها تعطي دليلا جديدا على قوة امتنا، على القوة التي ظهرت واخافت القوى الاستعمارية والصهيونية، التي كانت تؤمل بان يدوم استغلالها لبلادنا زمنا طويلا، عندما شاهدت نمو هذه القوة العربية عمدت الى مزيد من الدهاء ومزيد من المؤامرات. ولا نقول بان هذا لايستوجب منا اليقظة، ولا يستوجب منا الاعداد، والمقاومة، ولكن الذي نقوله بانه يجب ان لايفزعنا لانه مصطنع ومدبر ودليل جديد على الفزع الذي دب في صفوف الاعداء والغاصبين والمستعمرين.

نظرة واحدة على ما يجري في قطرنا العربي، لبنان، تكفي للدلالة على هذه الظاهرة وهي ان هذا التشويش الذي يحدث في وطننا العربي مصطنع من اساسه، مدبر من الخارج، مفتعل ولايعبر عن حقيقة شعبنا وامتنا، وان كان يشير في بعض الحالات الى نواقص وثغرات لم نكن نجهلها في مجتمعنا وبنائنا القومي، لكنها

نواقص وثغرات ليست بالخطيرة، وهي قابلة للعلاج وكانت الثورة العربية ماضية في سبيل معالجتها. ولكن الاعداء ركزوا على هذه الثغرات بقوة غير عادية لكي يؤخروا النهضة العربية لكي يؤخروا معركة الوحدة والتحرير لكي ينالوا من ثقتنا بانفسنا، هذه الثقة التي وصلت اليها امتنا بجهدها ونضالها وتضحياتها، هذه الثقة بالنفس، يريدون الان ان يزعزعوها. ولكن متى انتبهنا الى اصطناع هذه الاعمال والى افتعالها ادركنا انها عاجزة عن ان تنال من قناعات الشعب العربي، ومن قناعات المناضلين، لانها عبارة عن تركيز مضخم على قطر صغير له تركيبه الحساس، فتآلبت عليه قوى الاستعمار والصهيونية، وبمؤازرة وتشجيع من الرجعية العربية لكي تجعل من حوادث لبنان عامل يأس وقنوط للعرب وللمناضلين ولكن هذا لن يحدث.

أيها الرفاق

ان ما طرأ على مصر في السنتين الاخيرتين من تراجع عن الخط الثوري، والخط الوحدوي، وعن الخط التحريري، وما اظهره النظام الحاكم من نزوع الى التفاوض. والقبول بالامر الواقع وبالتسويات المهينة. هذا تعرفونه كلكم، وتشعرون بانه لايمكن ان يعبر عن حقيقة مصر العربية، هذا القطر الذي قدم اكثر من اي قطر عربي في سبيل فلسطين وفي سبيل الوحدة العربية، فلا يعقل ان تكون هذه السياسة الجديدة هي المعّبر الصادق عن حقيقته، وانما هي، ايضا، اصطناع وتوسل بنقاط ضعف موجودة في تركيب الطبقة الحاكمة في مصر، ونقاط ضعف اقتصادية ادت الى ان تنجح المؤامرات الخارجية في تشجيع فئات مستغلة، وعازفة عن النضال، غير متجاوبة مع اهداف الثورة العربية ومع مشاعر الجماهير العربية في مصر نفسها على التراجع ولكن لابد من ان يزول الزيف، ولن يطول ذلك كثيراً اذا كنا مؤمنين باصالة شعبنا، واذا كنا مؤمنين بالعقل والمنطق، لان الشعب الذي قدم تلك التضحيات قبل سنوات معدودة، والذي امتزجت دماؤه بمبادىء الثورة ومبادىء الفكرة العربية واهدافها المقدسة، لايمكن ان يتحول بين يوم واخر الى شعب مستسلم، وانما هي حالات طارئة وعارضة.

أيها الرفاق

لابد ان اذكر، أيضا، قطراً عربياً مهماً هوسورية، سورية العربية التي كانت منذ بداية هذا القرن منارا للفكرة القومية والتي نشأ فيها البعث وملأ جوها بنضاله وافكاره، سورية تآلبت عليها القوى الاستعمارية والصهيونية، وركزت عليها بشكل خاص لاهميتها الخاصة والاستثنائية، لانها اذا عزفت عن النضال وعن معركة التحرير فانها تعرقل المسيرة العربية كلها نظرا لموقعها الجغرافي من جهة، واهم من ذلك، نظرا لمكانتها القومية، وهذا ما يفسّر، ايها الرفاق، نكسة الحزب في سورية قبل عشر سنوات. ان القوى التي تآلبت على الحزب في سورية قبل عشر سنوات كانت تستهدف الحزب وتستهدف سورية معا كانت تستهدف حزب الوحدة، وكانت تريد تعطيل دور سورية، لان سورية كانت، دوما، القطر الداعي إلى الوحدة المتقدم في مجال الدعوة الوحدوية، ولاتطلب الصهيونية ولايطلب الاستعمار من النظام السوري ان يرفع منذ الان علم الاستسلام وان يطالب بالتسوية وبالصلح مع العدو، يكفيهم ان تستنكف سورية عن اداء دورها الطبيعي، يكفيهم ان تمتنع سورية عن الوحدة، والوحدة هي الطريق الوحيد، وفي هذه الظروف بصورة خاصة، للتحرير، وللصمود. ويستطيع هذا النظام، حسب مخطط الاستعمار والصهيونية، ان يتبجح ويرفع صوته بالادعاءات، وان يهاجم غيره باسم المبادىء وغير ذلك، ما دام يقف موقفا سلبيا من الوحدة، ومن الوحدة الممكنة الوحدة الطبيعية والوحدة الميسرة المهيأة التي هي وحدة سورية والعراق، يكفي ان يتعهد النظام الحاكم في سورية للاعداء بانه لن يدخل الوحدة ولن يستجيب لدعوتها حتى يضمنوا له استمراره ويقبل منه حتى الشتائم وحتى الحرب الكلامية وحتى عند الاقتضاء الحرب الفعلية او بعض مظاهر الحرب المسلحة ولكن يكون هذا النظام في مأمن من المؤامرات الاستعمارية لان القوى المعادية ضمنت شيئا اساسيا هو عدم اتخاذه الخطوة الحاسمة المؤثرة على هذا الظرف، المؤثرة على المصير العربي كله وهي تحقيق الوحدة بين هذين القطرين الوحدة التي تغير موازين القوى كلها، الوحدة التي ان تحققت فانها ستوحد العرب كلهم عندما تعطيهم البداية الصحيحة المشجعة، عندما تضع عشرين مليونا من

العرب في ارض من احسن الاراضي امكانيات وثروات ومواقع وعليها شعب مؤهل ومشبع بالفكرة القومية ومتحفز للتحرير ومتحفز للعمل التاريخي وعندها لن تقف مصر مكتوفة اليدين ولن يقف المغرب العربي بعيدا ولن يبقى نظام رجعي امام التفجير الشعبي الجماهيري الذي يمكن ان يحدث.

أيها الرفاق

لنعد في لمحة الى الماضي. ماضي حركتنا لنرى اذا كان هذا الماضي يستطيع ان ينفعنا في ظروفنا الحاضرة القاسية، ان يمدنا بالروح والايمان والقوة والثبات لابل بالرؤية العلمية الواضحة، حركتنا ايها الرفاق تميزت بجملة مميزات ولابد ان نعود بين الحين والاخر لنذكر ونتذكر هذه المميزات لكي نحافظ على اصالة الحركة لابل لكي تأخذ حركتنا مداها في التحقيق لان الروح الاولى التي انبعثت منها حركة البعث هي التي يجب ان تبقى دوما سائدة لانها هي التي ضمنت لهذا الحزب ان يحقق انتصاراته وان ينهض من كبواته وان يستأنف نضاله كل مرة بعزيمة اشد من السابق.

أيها الرفاق

لا اقول شيئا جديدا عندما اذكركم بان حزبنا منذ بدايته ومنذ التصور الاول استلهم تراثنا العربي تراثنا الروحي، وهذا متجل في جملة كتابات وشعارات في بداية الحزب متجل بصورة خاصة في شعار الحزب الذي يقول ان امتنا أمة واحدة وبأن لها رسالة خالدة، ماذا يعني هذا التصور انه تعبير عن فهم واضح وشامل لكل الصعوبات التي تعترض سبيل نهضة امتنا. عندما نشأ الحزب، ايها الرفاق، كانت اكثر اقطار وطننا محتَلة، مستعمَرة وكانت اوضاع شعبنا متخلفة فكيف يمكن ان نعلن في ذلك الوقت اننا امة واحدة وان لنا رسالة انسانية الى العالم، هذا يعني انه بدون هذا الافق بدون ان نضع لنضالنا ولثورتنا هذا الافق الروحي والاخلاقي فاننا لن نتكافأ مع الصعوبات والظروف القاسية والاعداء الاقوياء الذين يحاربوننا ويحاربون وحدتنا ويحاربون نهضتنا فلن تكون الثورة العربية اذن ثورة كباقي الثورات في هذا العصر، لابد ان تكون ثورة مميزة حتى تنجح، لانه ليس في هذا العصر امة وضع في طريقها مثلما وضع في طريق الامة العربية من عراقيل، ليس هناك بلد تكالبت عليه

القـوى الاستعمـارية لتمعن في تجزئته ولتمعن في تفتيته وتشويهه ولتفرض عليه ماهو ضد طبيعتـه ولتفقـره وتشله مثلمـا وضـع على كاهل الامة العربية، هذا الدليل الكبير الـذي لايحتـاج الى مزيـد من البراهين، إنه اغتصاب فلسطين، وهو الدليل الواضح السـاطـع على ان مادبـر لقتـل الامـة العربية لافنائها لتمزيقها لم يدبر لاية امة اولاي شعب اخر، وقد اقول في كل العصور وليس في عصرنا هذا فحسب، فكيف يمكن لامتنا لجماهير شعبنا لأجيالنا الصاعدة ان تدفع هذه الاخطار، ان تتكافأ معها اذا لم تؤمن بالمستوى الروحي العالي، اذا لم تؤمن باصالة امتها وبرسالتها الخالدة، اذا لم تضع ثورتها في هذا الجو، في هذا الاطار، اطار الثورات التاريخية الكبرى التي لاتعمل فقط من اجل انقاذ شعب ولكن تعمل من اجل انقاذ البشرية تعمل بدافع انساني عميق ومتجرّد، هذا هو التصور الاول الذي كان وراء ظهور حزب البعث، تصور خلاصته ان هذه الامة لايمكن ان تنهض وتتغلب على كبوتها وتتكافأ مع قوى الاعداء الكثر الاشداء، المسلحين بالعلم والدهاء، لايمكن ان تتكافأ مع وسائلهم الخبيثة الرهيبة الا اذا استمدت من نبعها الاول، من تراثها من معنى وجودها على هذه الارض ومعنى حياتها، الدافع والملهم والموجه.

لذلك كان الافق الذي وضع لحزبنا منذ البداية هو الافق الروحي الاخلاقي الذي يمد المناضلين، مهما تكن الطريق شاقة، بالايمان المتجدد ويمدهم بالنظرة العلمية الموضوعية لان الايمان لايتناقض مع هذه النظرة وانما على العكس، هو الذي يضيء العقل ويكشف عن مواهبه امام عظم المهمة وعظم الرسالة. ولكن لابد ان اذكر ايها الرفاق باننا لم نلجأ الى التراث كما كان يفعل التقليديون من اجل التكرار والتقليد، تكرار القول والتقليد غير المثمر وغير المنتج، نظرنا الى التراث عبر نظرتنا الى العصر، وحضارته، الى العصر ومشاكله، الى العصر ومقومات قوته، وعبر نظرتنا الى واقعنا المتخلف فكانت نظرة جديدة. اي اننا لم نطلب من التراث ان يكون بديلا عن الجهد الذي يطلب منا ان نقدمه، وانما نحن عشنا الثورة المعاصرة بكل متطلباتها ومن خلالها وجدنا ان تراثنا يعطينا اصالة لايمكن لاي ثورة واية نظرية فلسفية معاصرة ان تهبنا اياها، هذا الفهم للتراث هو الذي جعل الحزب يستمد منه

قوة روحية واخلاقية لاتستند اليها بقية الحركات، هذه الميزة لحزبنا نحن احوج ما نكون اليها في هذا الحاضر الذي نعيشه، في تطلعنا الى المستقبل لاننا في الواقع نحن وامتنا مطالبون بان نقدم الى الانسانية رسالة في تجديد القيم، في تجديد الاخلاق، طالما ان قوى البغي قد فرضت علينا اغتصابا لم يعرف مثيل له في التاريخ، فرضت تزويرا للحقوق، تزويراً للتاريخ، تزويرا للواقع، فلابد ان نضع نصب اعيننا ان نحارب الباطل والبغي والتزوير والاغتصاب في العالم كله. عندما نتجند للمعركة المصيرية، عندما نتأهب لها بجد واخلاص، عندما نوفيها كل حقها لانكون عاملين من اجل انفسنا فحسب، لانكون محررين لوطننا فحسب، لانكون مستردين لحقوقنا فحسب، وانما هذه المعركة بسبب ضخامتها، بسبب صعوباتها الفائقة، ولكونها فريدة بين احداث التاريخ وامثلته، تتطلب منا جهدا، إن نحن قدمناه، ونستطيع ان نقدمه، لاننا قطعنا حتى الان اشواطا على الطريق، ان نحن قدمنا هذا الجهد الى نهايته فان عصرا جديدا سيبدأ في العالم، فان قيما جديدة ستقوم وتسود يصحح فيها الزيف الاستعماري، تصحح فيها الافتراءات والمغالطات والاستغلال البشع، حضارة جديدة لنا وللانسانية ستنشأ عندما نحشد كل القوى العربية المادية والحضارية من اجل معركة المصير.

هذا الجو الذي استلهمناه منذ بداية حزبنا، من تراثنا العربي الروحي، التراث الخالد المبدع باستمرار، المتجدد في كل عصر، الملهم، هذا الجو يجب ان نعيده. انه دوما موجود، وكما قلت، هو وراء صمود هذا الحزب، ولكن لنجعل وجوده واضحا وبارزا وملموسا ولنجعله هو الملهم والمقيم لأعمالنا ولنضالنا، اذا كنا واقعيين فلا بد ان نستنتج انه لامهرب من المعركة وانها معركة في منتهى القسوة والضراوة، معركة مع قوى البغي والاغتصاب والتخلف والاستغلال والرجعية، لايمكن ان نصل الى حقوقنا دون خوض هذه المعركة وبالتالي فيجب ان نكون صريحين ومنطقيين مع انفسنا وان نهيىء الجو لدخول هذه المعركة وقد تأتي غدا وقد تأتي بعد سنة او اكثر لانستطيع ان نوفيها حقها اذا لم نعش مقدما جو المعركة، معركة الوحدة العربية، معركة تحرير فلسطين، معركة الوحدة من خلال التحرير، معركة تحرير الانسانية من

خلال تحرير فلسطين. هذه هي الواجبات والمهام الجديرة بجيل البعث وخاصة في هذا القطر الذي برهن فيه حزبنا على انه مؤهل منذ بدايته، مستجمع للشروط الاساسية التي تجعل منه صانعاً للاعمال التاريخية، هذا الحزب الذي تميز دوما بالايمان، تميز دوما بروح النضال، تميز بالجدية. تميز بالرجولة والبطولة، حزبنا في العراق هو الذي اوكلت اليه الامانة التاريخية، هو الوريث الحقيقي للبداية الاصيلة الصادقة لهذا الحزب التي تميزت بالاخلاقية وتميزت بالنظر التاريخي، حزبنا في العراق هو المكمل لتجربة الحزب السابقة، لتجاربه العديدة الغنية بايجابياتها، وهو المستوعب والمتعظ بسلبياتها، وصل الى الحد الذي يستطيع فيه ان يلبي نداء الامة، نداء العروبة في ظرف من احرج الظروف، واني لمؤمن بانه سيكون عند ثقة الامة به.

* * *

الأسئلة والأجوبة .

● وردت في هذا الحديث «لفظة الروح» وتتكرر عدة مرات ماذا تعني كلمة الروح هل هي الروحانية او الارادة او غيرها؟

ليس لهذه الكلمة في استعمالنا وفي قصدنا اي معنى غيبي او ماورائي . هي تعبير عن نزوع الانسان ونزوع الجماعة سواء اكانت حركة نضالية ام امة بكاملها الى تحقيق المثل والى الانسجام في الحياة مع المثل الاخلاقية الرفيعة. هذا هو المقصود.

● هناك ايديولوجيات دينية واممية ترافق النهضة العربية فما هو تصوركم لمستقبل هذه الايديولوجيات ومكانتها من المجتمع العربي؟

أيها الرفاق

حركتنا تعتز في جملة ماتعتز به من مميزات تجلت فيها خصوصية الثورة العربية بل خصوصية الامة العربية، تعتز حركتنا بموقفها الايجابي من الدين وقد اعلنت ذلك بكل ثقة وقناعة يوم كانت الحركة الشيوعية والنظرية الماركسية قبل ثلاثين عاما او اكثر عند بداية الحزب تخلق نوعا من الارهاب الفكري على الاجيال العربية وكلكم تعرفون بان الشيوعية والماركسية اخذت تتراجع عن شعاراتها وادعاءاتها فيما يخص الاديان واهمية الدين ودوره في المجتمع ولعلكم تعرفون ماتم في هذا المجال في اوربا وموقف الاحزاب الشيوعية في بلدان اوربا الغربية المعروفة بانها هي القسم الراقي من العالم، هذا من ناحية، وبأن نظرتنا كانت نظرة عميقة الى النفس

الانسانية، الى التاريخ البشري ونظرة اصيلة الى تاريخنا نحن والى تكوين امتنا فحركتنا قامت بشيئين، في هذا المجال، اعطت الدين بصورة عامة كدين دوره المشروع في حياة البشر وتاريخهم وتطورهم. واعطت الاسلام، الدين العربي، الدين الانساني، اعطته المكانة الاساسية في تكوين قوميتنا ليس فقط بالنسبة الى الماضي وانما بالنسبة الى كل وقت فما دامت الامة العربية على هذه البسيطة فالاسلام هو التراث الروحي وهو المحرك لها، هو ملهمها، هو مرجعها الروحي، وهو الحركة الثورية المثلى في نظر البعث اما النظريات او الايديولوجيات الدينية فرأينا او رأي الحزب فيها بانها لا تؤدي الغرض القومي ولا توصل الى نتيجة ايجابية.

تصورنا ايها الرفاق تصور كلي للحياة القومية، الحياة القومية في نظرنا تشمل كل شيء والعقيدة الدينية داخلة في تكوينها دخولا عضويا فنحن كما بينت او لمحت في هذا الحديث فهمنا التراث كحركة ثورية واعلى حركة ثورية يمكن ان توجد، وهذا يعزز ثقتنا بامتنا اذ منها ظهرت هذه الحركة وعلى ارضها نشأت ومن عبقريتها وعبقرية ابطالها واخلاقهم تكونت، فهذا اذن داخل في تصورنا الثوري الاساسي. وقلت باننا خالفنا الذين يكتفون بان يرددوا ما قاله التراث دون أن يصلوا الى التراث عبر الثورة والنضال فالتراث الروحي المميز لامتنا لا نفهمه الا كثوريين مناضلين نصل اليه بعد ان نقطع اشواطاً في مسيرتنا النضالية، وهذا في رأينا هو التصور السليم.

الايديولوجيات التي تفصل العقيدة الدينية عن العقيدة القومية والثورة القومية بكل متطلباتها، هذا شيء مجزأ سطحي ولن يحرك كل القوى المبدعة في امتنا وسرعان مايتحول الى تقليد وانتفاع، الى غوغائية ونفعية في حين ان التصور البعثي هو الذي يضع الموازنة والمعادلة الصحيحة، هذا بخصوص الايديولوجيات الدينية. اما الاممية فاقول ايضا باننا عبّرنا عن ناحية من خصوصية الثورة العربية عندما اكدنا حقيقة القومية التي كانت الماركسية والشيوعية تنكرها اكدناها، لم ننف الاممية بل اكدنا القومية وفهمنا القومية على ضوء تراثنا الانساني ومن خلال تجربتنا النضالية الراهنة، قوميتنا هي ايضا اممية، هي انسانية، ولا يمكن الا ان تكون اممية،

بالمعنى الطبيعي غير المصطنع، لا الاممية التي لها مؤسسة وتنظيم وفروع وتابع ومتبوع وإنما الاممية بمعنى الانفتاح والمشاركة في المثل وفي المصالح وفي طريق الحرية والاشتراكية لذلك نعتبر بان الايديولوجيات الاممية لا يمكن ان تبلغ هذا الحد من النظرة السليمة والحية التي بلغتها نظرة حركتنا وثورتنا. والدليل على ضعف وفشل النظريات الاممية الاخرى هو مانراه ايضا من تراجعات واضحة ومعروفة منذ سنين عديدة. والتصور الاممي الماركسي في تراجع وفي تجزوء وانقسام وفي بعض الاحيان تناحر وتناقض. لذلك في هذه الناحية ايضا نحن على ارض صلبة في قناعتنا الفكرية.

● **تطرح الرجعية العربية الان شعارات لم تجرؤ على طرحها في مرحلة الخمسينات مثلا كشعار تقسيم لبنان فكيف تفسرون ذلك؟.**

قلت في حديثي أيها الرفاق بان ما دبر للبنان هو في الواقع مدبر لتيئيس الثورة العربية كلها من خلال المشاهد والمآسي التي تمثل على ارض لبنان فليس لبنان هو المقصود بقدر ما هي البلاد العربية كلها والحركات العربية الثورية والنضالية. . شيء مدبر تعده الدوائر الاستعمارية والصهيونية ليوم تفل فيه اسلحتها الباقية اعدت هذا السلاح المخرب من داخل بنياننا القومي في نقطة ضعيفة فيه هي لبنان باوضاع غير طبيعية هناك المقاومة الفلسطينية جاءت الى لبنان بعد ان ذبحت في الاردن وبعد ان سدت في وجهها الابواب لم تجد غير لبنان لتواجه انطلاقاً منه العدو الصهيوني رغم انه اقل الاقطار استعداداً بحكم تركيبه الخاص لان يستقبل المقاومة على ارضه. وكان الكيان الصهيوني باعتداءاته المتكررة على جنوب لبنان واحيانا على كل لبنان يحرض الفئات الانعزالية لكي تتخذ من ذلك حجة ضد تواجد المقاومة.

ثم ان الوضع الاجتماعي والسياسي والوطني في لبنان بلغت تناقضاته حدا لا يحتمل، فالاعتداءات الاسرائيلية تتوالى والجيش يتجاهلها بينما يقوم هذا الجيش احيانا بقمع الحركات الشعبية، ثم النظام الليبرالي الرأسمالي المشبوه بعلاقاته وارتباطاته الاقتصادية والسياسية مع الغرب الاستعماري ادى الى تفاوت شديد في

الطبقات والى تزايد وطأة الاستغلال الطبقي للجماهير الشعبية في لبنان الى حد ايضا كان مهيئا وممهدا للانفجار. فالفئات الانعزالية كانت ترى تقدم الحركة لشعبية في لبنان، واتساعها وتزايدها في العدد والقوة مدعومة بالمقاومة الفلسطينية التي كانت تعرف ان مصيرها في لبنان مرتبط بمصير الحركة الشعبية فكانت الفئات الانعزالية الخائفة على مصيرها وعلى امتيازاتها وعلى تسلطها لانها كانت متسلطة على الدولة والاقتصاد وعلى الجيش، هي البادئة بالعدوان وافتعلت المعركة مستفيدة من الجو الدولي جو تدبير الحل الاستسلامي المعروف وجو انتعاش الرجعية في البلاد العربية، لكي تحسم هذه الفئات المعركة لصالحها قبل ان يفوت الاوان فاذن اكثر العوامل هي عوامل مصطنعة وخارجية لا تعبر عن حقيقة الاوضاع ولكن فيها دروسا جديرة بأن تفهم وتقدر عبرتها، هي : إن تاخرنا كثورة عربية بكل فصائلها، في السير في طريق الوحدة وفي تطبيق فكرتنا الثورية عن الوحدة، لأننا في حزب البعث لانؤمن بالوحدة التي تاتي من نفسها، الوحدة الساكنة الجامدة، وانما نؤمن بالوحدة الديناميكية المقتحمة الهجومية التي تعرف بان الزمن قد يكون معاكسا لها وانها يجب ان تفرض نفسها على الزمن وانها مفجرة للقوى، هذه الوحدة هي في اساس تفكيرنا البعثي، عندما لاتمشي الثورة العربية في طريق الوحدة فالاعداء الاستعماريون والصهيونيون يهددون القطر الواحد بان يجزؤوه الى اقطار، واذكر اننا في عام ١٩٥٦ إبان ازمة القناة والعدوان الثلاثي على مصر، كانت الرؤية الثورية واضحة عندما قلنا بان «النضال العربي غدا ذا منطق قاهر، وعليه ان يتقدم دوماً لئلا يضطر الى التراجع»، لم يعد الجمود والمراوحة في نفس المكان ممكنا في الظروف القومية والدولية التي نعيش ضمنها، لان الاعداء الاستعماريين والصهيونيين عندما يحاربوننا يضعون لمحاربتنا اسلحة ومؤامرات بوزن الوحدة العربية التي لم تتحقق بعد، هم يعرفون خطر الوحدة عليهم فيحاربونها قبل أن تتحقق وقبل ان نمشي اليها فاذن نحن في كل الاحوال سواء اقدمنا في طريق الوحدة ام انكفأنا فنحن نتحمل عبء الوحدة، اي نتحمل عداء مساويا لخطر الوحدة على اعدائنا فالمنطق يقول بانه مادمنا نتحمل

هذا العبء فيجب ان يكون ثمنه الاقدام على الوحدة وتحقيقها.

● كيف نوفق بين الموقف الايجابي من الدين وعلمانية البعث؟

كلمة صغيرة عن العلمانية وكيف واجهها البعث. في تراث الحزب اشارة الى ذلك قد لا تكون وافية ولكنها اكيدة ولا تحتاج إلا الى توسيع وتفصيل. عند ظهور الحزب ايها الرفاق كانت هناك دعوات واتجاهات قومية تقول بالعلمانية وتعتبر بان القومي العربي هو الذي يتجرد من معتقداته الدينية ويلتقي مع اخيه العربي على صعيد القومية العربية الحقوقية والرابطة الوطنية وكان لهذا المذهب رواج كبير بين الشبيبة المثقفة، ولكننا لم نستسغه ولم ننخدع به واعتبرناه في احسن الحالات والتفسيرات سطحيا وجامدا غير معبر عن الروابط العميقة التي تربط العربي بقوميته، وكان من الجائز الاشتباه بهذه الدعوة لان المستعمر الاجنبي الغربي الذي كان يحتل أقطارنا، لم يكن يخفي ارتياحه لهذه العلمانية بل كان يشجعها، لان ذلك كان يؤدي الى افقار قوميتنا من دمها ومن نسغ الحياة فيها، من اصالتها، من روحها، لذلك كان من اول ما تصدى له حزبنا في بدايته هو هذه القومية المجردة، اذكركم ببعض الكلمات التي كانت تشير الى ذلك.

فهناك اشارة في كراس «ذكرى الرسول» الى القومية التي تأتينا من الغرب على النمط الاوربي ونشير الى الفارق بين قوميتنا وبين القوميات الغربية والى ان الاسلام هو تاريخنا وهو بطولاتنا وهو لغتنا وفلسفتنا ونظرتنا الى الكون واشياء كثيرة يصعب حصرها وتعدادها. فما الذي يضطرنا، لكي نكون قوميين سليمي الانتماء، ان نطرح كل هذا من حياتنا ونضعه على الهامش فاذن نحن ذهبنا بكل بساطة وصراحة الى واقعنا الحي، ماهو واقعنا؟ هو العلاقة العضوية بين العروبة والاسلام اما العلمانية بمعنى ان الدستور والقوانين لا تميز مذهبا على آخر في القبول للوظائف او في كذا وكذا هذه امور بسيطة ونسلم بها ونحن نمشي مع هذا العصر ولا نجادل في ذلك اذا كانت المسألة مسألة نصوص دستورية وقانونية ولكن البعث وضع الامور في نصابها عندما وضع الاسلام كثورة اخلاقية وفكرية واجتماعية حاسمة في تاريخ البشر، وضعها في صلب القومية العربية. بهذا المعنى لا يوجد عربي غير مسلم، هذا اذا

كان العـــربي صادق العـروبـة واذا كان متجـردا من الأهـواء ومتجـرداً من المصـالـح الذاتية. العروبة تعني الاسلام بهذا المعنى الرفيع الذي لا تعصب فيه ولا تمييز ولا اي شيء سلبي.

أيها الرفاق

لا بأس ان اتوسع قليلا وآخذ من حوادث لبنان امثلة حية، امثلة في غاية الاهمية. اني أسفت دوما وتألمت دوما طوال مسيرة الحزب التي مضى عليها خمسة وثلاثون عاما حتى الآن لأن افكار البعث لم توضح كما يجب ولم تعط من الاهتمام ما تستحق من اجل التوضيح والتوسيع والتطبيق على الواقع العربي بكل ظروفه واشكالاته وتعقيداته، ولكن ماذا نرى الان؟ نرى في لبنان إتجاهاً سبق الحوادث الاخيرة وهذا دليل ايجابي ودليل على صدق وعمق هذا التطور الفكري في المجتمع العربي، قبل سنتين على الاقل اخذت تظهر افكار في لبنان من الطوائف المسيحية، من افراد ومجموعات صغيرة تتمرد على المفهوم الطائفي الرائج وعلى النظرة الضيقة وعلى التعصب وايضا على اشياء كثيرة في المجتمع اللبناني الذي هو جزء من المجتمع العربي، تتمرد على الاستغلال الطبقي وعلى الفقر والبؤس في الاوساط الشعبية الكادحة وعلى التركيب السياسي القائم على التزييف والزعامات التقليدية المستغِلة والمعرقِلة لكل تقدم وعلى الدعوة الانعزالية التي تنكر على لبنان عروبته وتريد عزله عن الجسم العربي، ظهرت مثل هذه الافكار وحتى من قبل رجال دين وكانت لهم مجلات تنطق باسمهم وفيها معالجات جريئة خلقت إشكالاً ضمن طوائفهم وبين اقرانهم ورؤسائهم من طبقة رجال الدين ووصلت الى الصحف نزاعات وخصومات ولعل بعضكم اطلع على شيء من هذا في صحف لبنان منذ سنتين واكثر.

الشيء الجديد هو ان بعض هذه الافكار كان يقول ويصرح بجرأة بان الموقف المسيحي من الاسلام كان خاطئا من اساسه وانه متأثر بالتبعية للغرب ومتأثر بالتربية الاستعمارية في المدارس الاجنبية وان النظرة الجديدة الى الاسلام يجب ان تكون انه هو الدين الثوري الانساني وان العروبة والاسلام متلازمان ولا ضير في ذلك لا بل

بعضهم خطا خطوة اكثر جرأة وكتب، وهو رجل دين ماروني مقالا طويلا وعلميا ومدعوما بالشواهد التاريخية يقول بان نشأة المارونية لم تكن ضد الاسلام، بل ان الموارنة هربوا الى لبنان من اضطهاد الفرق المسيحية الاخرى لهم التي كانت تستعين بالدولة البيزنطية ولم يدخلوا في صدام او خلاف مع العرب المسلمين ثم يستعرض حقبا من التاريخ وينتهي الى القول والى مصارحتهم بانهم وجميع المسيحيين في هذا الشرق العربي اذا لم يقبلوا عن طوع وارادة واقتناع ومحبة بان يكونوا بمعنى من المعاني مسلمين فانهم لا يكونون امناء لفكرهم ووطنهم وعروبتهم، هذا ما قلناه قبل ثلاثة وثلاثين عاما في عام ١٩٤٣ بان المسيحيين العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم سوف يعرفون بان الاسلام هو لهم ثقافة قومية يجب ان يتشبعوا بها ويحبوها ويحرصوا عليها حرصهم على اثمن شيء في عروبتهم. لم يفعل الحزب شيئا كثيرا لنشر هذه الافكار وللدعاية لها ولتوضيحها ولتوسيعها ولكن تطور الاحداث خلال ثلاثين عاما اوصل الى هذه النتائج عند البعض وهي بدايات لا شك انها ستكون لها تتمة فاذن لم يكن ممكنا لنظرة كنظرة البعث ان تؤخذ بخرافة العلمانية وسطحيتها وان كنا لا نجادل في الحدود والتطبيقات القانونية والدستورية لما يفهم من العلمانية، ولكن العلمانية كاهمال وبتر لأهم شيء في قوميتنا وفي تاريخنا وفي تكويننا النفسي والعقلي هذا شيء غير مقبول وغير واقعي وقد سقط منذ ان ظهر حزب البعث ولم يعد لتلك النظرة قيمة كبيرة.

١٩ كانون الثاني ١٩٧٦